كتاب مناقب بغداد المنسوب خطأً لابن الجوزي

م.د. شكيب راشد بشير آل فتاح*

تأريخ التقديم: 22/ 5/ 2011 تأريخ القبول: 18/ 9/ 2011

المقدمـــة:

من الحقائق التي تصل إلى مستوى البديهيات أنَّ المدن هي المراكز الرئيسية التي تزدهر فيها الحضارة وتتعقد فيها النظم وتنمو فيها الحركة الفكرية ، في حين إنَّ المؤلفين العرب والمسلمين اهتموا بدراسة المدن وأحوالها وأكثروا من التأليف فيها، فقلما يوجد مدينة في العالم الإسلامي لم يؤلف فيها كتاب أو أكثر[1]، وقد عرفّ أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي بغزارة نتاجه وكثرة مؤلفاته وتنوعها، وهو احد المكثرين من التأليف، وقد ألف في فنون عديدة، في علوم القرآن والعقيدة، والحديث، والفقه، والسير، والتاريخ والوعظ، وكانت مؤلفاته تلك محل اهتمام الباحثين والمحققين والعاملين بالتراث الإسلامي .

ويُعدَّ كتاب"مناقب بغداد"[2] أحد مؤلفات ابن الجوزي المفقودة، في حين نشر محمد بهجة الأثري نصّاً يتحدث عن بغداد وبهذا العنوان ونسبه لابن الجوزي قبل أكثر من سبعة عقود، وقام الأخير بتصحيحه والتعليق على هوامشه بعد أن

* قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل.

(1) العلي، صالح أحمد، مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد14، (بغداد: 1967)، ص6.

(2) يشكر الباحث الأخ الدكتور محمد نزار الدباغ لمساعدته في الحصول على نشرة (الأثري).

حصل على صورة مخطوطة الكتاب من أستاذه محمود شكري الالوسي[1]، والذي بدوره حصل عليه من الأب أنستاس ماري الكرملي[2]، والذي حصل عليه من احمد تيمور باشا المصري[3]، ويستغرب الباحث كيف أن مخطوطاً وردت فيه أحداث منتصف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد ، ينسب إلى ابن الجوزي المتوفي سنة (597هـ/ 1200م) ويقر بنسبته هذه الكوكبة من رواد العمل في التراث الإسلامي إلى ابن الجوزي، في حين أن أثبات عدم

(1) محمود شكري الالوسي: وهو مؤرخ وأديب، لغوي، من علماء الدين ولد في بغداد سنة 1857م، واخذ العلم عن أبيه وبعض أفراد أسرته الآخرين، درس في داره وفي بعض المساجد، نفي إلى الأناضول في عهد عبد الحميد الثاني بسبب خصومته مع بعض منافسيه من البغداديين، ثم عاد إلى بغداد، وكان مواليا للدولة العثمانية، وبعد أنشاء الحكم الملكي في العراق عين عصوا في مجلس المعارف، من أهم مؤلفاته بلوغ الأرب في أحوال العرب في ثلاثة أجزاء وتاريخ بغداد في ثلاث أجزاء أيضا، توفي في بغداد سنة 1924م، ينظر: الأثري، محمد بهجة، محمود الالوسي وآراؤه اللغوية، (بغداد: 1958)، المطبعة الكمالية، ص2–9؛كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، (بيروت: د/ ت)، دار أحياء التراث العربي: 12/ 169.

(2) الأب انستاس ماري الكرملي: وهو عالم لغوي ولد في بغداد سنة 1866م، وتلقى علومه فيها، ثم واصل تلقيه العلم عند الآباء اليسيوعين في بيروت فضلا عن تلقيه العلم في بعض بلاد الغرب، أتقن اللغة الفرنسية واللاتينية واليونانية والعربية والصابئية والكلدانية والفارسية والتركية فضلا عن السريانية والانكليزية، اصدر مجلة لغة العرب، فضلا عن مؤلفاته الأخرى في التاريخ واللغة، توفي في بغداد سنة 1947م، ينظر: كحالة، معجم المؤلفين: 3/ 17.

(3) أحمد تيمور باشا: وهو أديب ولغوي من أصول عراقية ولد في القاهرة سنة 1871م، درس على محمد عبدة وغيره من علماء مصر، عمل عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، له مكتبة ثمينة أهداها إلى دار الكتب المصرية، من أهم مؤلفاته تصحيح كتاب لسان العرب لابن منظور، اليزيدية ومنشاء نحلتهم، وله عدة رسائل مع أدباء عصره، توفي في القاهرة سنة1930م، ينظر: كحالة، معجم: 1/ 166.

نسبة الكتاب إليه–إذا استثنينا وجود بعض التواريخ التي تعود بعد عصر ابن الجوزي– يحتاج إلى مقارنات في مضامين النصوص الواردة فيه والبحث عن المتناقضات مابين مؤلفات ابن الجوزي والكتاب الذي نشره الأثري ، وهذا ما سعى إليه البحث الذي سيتناول استعراض سيرة ابن الجوزي ومؤلفاته بما يناسب حجم البحث، ثم نقد الكتاب الذي نشره الأثري ونسبه لابن الجوزي من نقد مقدمة الناشر ومضمون النص وارتباطه بحياة ابن الجوزي وثقافته وطبيعة التأليف.

أولاً: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (سيرته وحياته):

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عبد الله بن حمادي بن احمد بن محمد بن جعفر الجوزي المكنى بابي الفرج والملقب بجمال الدين(1)، وقد وصل المؤرخون نسبه إلى الخليفة الأول أبي بكر الصديق(2)، ولد ابن الجوزي بدرب

(1) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (حيدر أباد الدكن: 1951)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 8/ 481؛ ابن رجب الحنبلي، عبد الرحمن بن شهاب، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، (بيروت: د/ ت)، دار المعرفة: 3/ 399.

(2) أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، تراجم القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، وضع حواشيه وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين، (بيروت: 2002)، دار الكتب العلمية: 5/ 37؛ ابن خلكان، احمد بن محمد بن إبراهيم، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حقق أصوله وكتب هوامشه: يوسف علي الطويل ومريم قاسم طويل، (بيروت: 1998)، دار الكتب العلمية: 3/ 117؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة: د/ ت)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر: 6/ 175.

حبيب[1] في بغداد سنة (508هـ/ 1114م) أو سنة (510هـ/ 1116م) [2] ، وتوفي أبوه الذي كان يعمل في تجارة النحاس وله من العمر ثلاث سنين[3]، أما بالنسبة لنشأته وثقافته فأنه كان منقطع إلى الدرس وحضور مجالس العلم وتفقه على عدد كبير من شيوخ بغداد في عدة علوم، من أبرزهم أبو بكر الدينوري (ت532هـ/ 1137م)، وعلي بن عبد الله الزغواني (ت527هـ/ 1132م)، وأبي منصور الجواليقي (ت540هـ/ 1145م) [4] وقد أشار بعض الباحثين إلى إن ثقافة ابن الجوزي ثقافة بغدادية وذات طابع متنوع مابين محلية وإقليمية، في الوقت الذي كانت بغداد في عصره مركز استقطاب وفد إليها شيوخ وطلاب العلم من مختلف

(1) درب حبيب: يقع هذا الدرب في الجانب الغربي من بغداد، ويقع قرب دار القطن، بين الكرخ ونهر عيسى، ينظر: كتاب الحوادث الجامعة لمؤلف من القرن الثامن الهجري، وهو الكتاب المسمى وهما بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، (بيروت: 1997)، دار الغرب الاسلامي، ص171، 527

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 481؛أبو شامة، الذيل، 5/ 33.

(3) الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، ضبطه ووضع حواشيه: عبد السلام عبد المعين، (بيروت: 2002)، دار الكتب العلمية، ص193.

(4) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (بغداد: 1990)، الدار الوطنية: 10/ 73؛ الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط11، (بيروت: 2001)، مؤسسة الرسالة: 21/ 366؛ ابن كثير، ابي الفداء الدمشقي، البداية والنهاية، وثقه وقابل مخطوطاته: علي محمد عوض وعادل احمد عبد الموجود، وضع حواشيه: احمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي، ط2، (بيروت: 2005)، دار الكتب العلمية: 13/ 29؛ ابن رجب، ذيل طبقات: 3/ 207-204

أقاليم العالم الإسلامي[1]، ولعل أهم ما يفيد البحث من سيرة ابن الجوزي، انه لم يغادر بغداد في طلبه للعلوم والوعظ والتدريس، عدا سفره إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة لأداء الحج سنتي (541هـ/ 1146م) و (553هـ/ 1158م)، ومغادرته إلى واسط سنة (590هـ/ 1193م) والتي بقي خمس سنوات منفيا فيها من قبل الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/ 1179-1225م) [2]، وبالتالي فان معرفته بالمدينة وخططها في غاية الأهمية وهذا ما انعكس في كتابه المنتظم والذي يعد من ابرز الموضوعات لدراسة خطط المدينة وعمارتها[3]، في حين إن كتابه"مناقب بغداد"-وهو غير الذي نشره الأثري وفق ما توصل إليه البحث-لا يقل أهمية من حيث تناول التاريخ المحلي.

لقد عاصر ابن الجوزي سبعة خلفاء من بني العبا س ابتداء من الخليفة المستظهر بالله (487-512هـ/ 1094-1118م) وانتهاء بالخليفة الناصر (ت622هـ/ 1225م) [4]، والذي عاصره خلال العقدين الأولين من حكمه ، وكانت علاقته بالسلطة مابين الإيجاب وضده، حتى انه تعرض لمحنة كما

(1) لمزيد من التفاصيل عن ثقافة ابن الجوزي، ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق: ناجية عبد الله إبراهيم، (بغداد: 1976)، مطبعة الأوقاف، مقدمة المحقق: 1/ 22-25؛ الدوري، خضر، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1972)، العدد الرابع، ص109-112؛الحكيم، حسن عيسى، ابن الجوزي وكتابه المنتظم، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة بغداد، (بغداد: 1982)، ص33 وما بعدها.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 141، 124؛الذهبي، سير أعلام: 21/ 366.

(3) بالنسبة لخطط بغداد في المنتظم، ينظر: الحكيم، ابن الجوزي، ص. 122 ومابعدها.

(4) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، (بغداد: 1986)، مطبعة منير، ص426-448.

وصفها سبطه في كتابه مرآة الزمان [1]، في حين أن هذه المحنة تعبر تماماً عن علاقته بالسلطة ومعرفته بقصور الخلفاء وأرباب السلطة وابرز أثارهم العمرانية في بغداد، فضلا عن مكانته في الوعظ وارتياده المساجد وأماكن الوعظ من ترب وغيرها زاد من معرفته بمحال بغداد وطبيعة سكانها من حيث الجانب العقائدي والطبقي[2]

أما مؤلفاته فإنها كانت مادة غنية للباحثين ومحل اختلافهم بسبب تنوعها وكثرتها[3]، حتى إن قسماً منهم أعده من "أغزر مؤلفي الإسلام مادة"[4]، وموضوع بحثنا "مناقب بغداد" هو احد تلك المؤلفات المفقودة، والذي نسبه العلامة الأثري إلى ابن الجوزي وفق اجتهاده، في الوقت الذي لم يكن الأخير لوحده محل اختلاف ولم يكن الأثري لوحده غير موفق في اجتهاده [5]، لقد توفي ابن الجوزي سنة (597هـ/ 1200م) بعد إن أصابه المرض لينهي حياة دامت سبعة وثمانين سنة، اتسمت ببغداديتها وطبيعتها الحافلة بالتقلبات السياسية التي أثرت عليه وقد يكون أحيانا اثر بها.

---

(1) ينظر: 8/ 439-440.

(2) لمزيد من التفاصيل عن وعظه، ينظر: الدوري، ابن الجوزي، ص125.

(3) من ابرز الباحثين الذين تناولوا مؤلفات ابن الجوزي ينظر: العلوجي، عبد الحميد، مؤلفات ابن الجوزي، (بغداد: 1965)، دار الجمهورية للنشر والطبع.

(4) حتي، فيلب واخزون، تاريخ العرب، ط13، (بيروت: 2009)، دار الكشاف للطباعة والنشر والتوزيع، ص780.

(5) على سبيل المثال في نسب الكتب لغير مؤلفيها ينظر: كتاب الحوادث الجامعة لمؤلف من القرن الثامن الهجري وهو الكتاب المسمى بالحوادث الجامعة والتجارب النافعة والمنسوب لابن الفوطي، تحقيق: بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف، (بيروت: 1997)، دار الغرب الإسلامي؛الجو مرد، جزيل عبد الجبار، الاولى ان ينسب كتاب النخل لابن العوام لا لابن وحشية، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، (عمان: 1999)، العدد 57، ص221-235.

ثانياً: كتاب مناقب بغداد المنسوب لابن الجوزي:

ظهرت مناقب وفضائل المدن في كتب التراث الإسلامي، نتيجة لظهور المدارس الإقليمية في التدوين التاريخي، لاسيما بعد الاهتمام المحلي بالأمور التاريخية والذي ينبع من حب المواطنة والتعصب والتفاخر بالمدينة مثل مكة والمدينة وبيت المقدس وبغداد ودمشق وغيرها، كذلك الحاجة لمعرفة التجارب السياسية والاستفادة منها، والرغبة في تمجيد الحكام المحليين لأغراض سياسية أو نفعية، أو لقرب المعلومات وأصحابها إلى المؤلفين، والاهتمام بالقريب أكثر من البعيد، وكل تلك العوامل دعت إلى الاهتمام بالأحداث المحلية والنظرة الانطوائية المتجهة إلى الداخل أو الإقليم (1)، لكن هذا لا يعني إن هذه المدرسة الإقليمية قد تغلبت على مدارس التدوين الأخرى مثل مدرسة التدوين العام الحولي، أو مدرسة تدوين كتب السير والطبقات وغيرها.

وفضلاً عن ما سبق فان السؤال ما مدى تمثيل مدرسة التدوين الإقليمي في مؤلفات ابن الجوزي، يبدو إن الأخير كان حريصا على التنوع والعمل على مختلف الفنون وليس فقط في التدوين التاريخي، بل كما هو معروف فان ابن الجوزي ألف في التفسير والفقه والحديث واللغة والأدب والوعظ وغيرها، وإذا استعرضنا قائمة مؤلفات ابن الجوزي التي أجاد سبطه يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/ 1256م) في عرضها وإحصائها "ومجموعات تصانيفه مائتان ونيف وخمسون كتابا" (2)، نجد بان كتبه في المناقب قد بلغت ثلاثة وعشرون كتابا، وان منها عشرين كتابا في مناقب الخلفاء والصالحين مثل (مناقب عمر بن الخطاب) و(مناقب عمر بن عبد العزيز) و(مناقب الحسن البصري) و(مناقب احمد بن حنبل) وآخرين، أما فضائل المدن فقد كانت من تلك المجموعة

(1) مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ط2، (بيروت: 1979)، دار العلم للملايين: مج1/ 289.

(2) ين مرآة الزمان: 8/ 485–486ظر: مرآة الزمان: 8/ 483–489.

كتابان هما "فضائل القدس" وكتاب"تنوير الغبش في فضل السودان والحبش" [1]، وبذلك فان حوالي 9% من مؤلفات ابن الجوزي المتنوعة كان في مناقب الرجال، وان حوالي 2% منها كان في فضائل المدن، في حين إن كتاب "مناقب بغداد"- وهو غير الكتاب الذي نشره محمد بهجة الأثري ونتحدث عنه- كان قد وضعه السبط في قائمته من ضمن كتب "تواريخ السير" وليس ضمن كتب المناقب التي عرضها في مجموعة واحدة[2]، وهذا يدل على أن كتاب "مناقب بغداد" ذات مضمون تاريخي صرف يتناول فيه التطور الزمني للمدينة وعرض ابرز شخوصها من خلفاء وأمراء وصالحين، وليس فيه استعراض لخطط بغداد ومحلاتها وأقسامها، في حين نجد انه أسهب في عرض تسمية بغداد وبناء أقسامها، في الوقت الذي اقتضب حديثه عن مؤسسها أبي جعفر المنصور ومن بعده من الخلفاء من بنو العباس[3]، ولعل وضع السبط في قائمته كتاب "مناقب بغداد" مع كتاب "المنتظم في تواريخ الملوك والأمم"، وكتاب "المفاخر في أيام الناصر" وكتاب"المصباح المضيء بفضائل المستضيء"، وليس وضعه مع كتاب "فضائل القدس" [4]، يدل على طبيعة المضامين التاريخية التمجيدية لكتاب "مناقب بغداد"، هذا إذا فرضنا إن السبط قد اطلع على الكتاب للأخير وان قائمته المقسمة إلى فصول- كل فصل فيه مجموعة من الكتب ذات نمط معين-كانت ضمن حسابات وتصانيف موضوعة بدقة واختيار.

إن الدافع في البحث عن نسبة كتاب مناقب بغداد، يعود لسببين، الأول: إظهار أنموذج عن عدم صحة نسبة بعض المخطوطات لبعض المؤلفين، والثاني

---

(1) مرآة الزمان: 8/ 485-486

(2) مرآة الزمان: 8/ 4، 485-486

(3) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد، مناقب بغداد، نشره وعلق عليه: محمد بهجة الأثري، (بغداد: 1924)، مطبعة دار السلام، ص7-120 (وسيتم الإشارة أليه بالهامش لهذه النشرة بابن الجوزي، مناقب بغداد على الرغم من أدلة البحث إلى عدم نسبته لابن الجوزي).

(4) مرآة الزمان، 8/ 484، 586.

استعراض الضجة التي أحدثها الأثري في نشره للمخطوط ونسبه لأبي الفرج ابن الجوزي سنة 1924م، لاسيما وان الذين شغلهم هذا المخطوط توزعوا مابين العراق وسوريا وحتى مصر، وبالتالي فان البحث عن أسباب ذلك يقودنا إلى أن متابعة العاملين بالتراث خلال العقد الثالث من القرن الماضي كانت متابعة في غاية التطور في الوقت الذي لم تكن وسائل الاتصال بما عليه اليوم، وان نشاط العاملين بكتب التراث في العقد الأول من القرن الحالي لا يرتقي إلى نشاط العاملين بالتراث خلال العقد الثالث من القرن الماضي رغم قلة المتعلمين وتفشي الأمية في البلاد العربية .

لقد ورد هامش في كتاب "خطط بغداد في القرن الخامس الهجري"، تأليف جورج مقدسي[1]، أستاذ الدراسات في جامعة بنسلفانيا، وترجمة صالح احمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي، كان الدافع لأستعراض الجدل حول المخطوط، فبعد أن ورد عند المقدسي الحديث عن كتاب مناقب بغداد جاء فيه "وقد أثير بعض التساؤل عن مؤلفه الحقيقي، وكان هذا التساؤل محقا لأنه تظهر منه تواريخ ترجع إلى سنة (654هـ/ 1256م)، في حين إن ابن الجوزي توفي سنة (597هـ/ 1200م) وهذه المسألة بحثها حديثا–والقول للمؤلف جورج المقدسي– العلماء العرب" [2]، نلاحظ انه ورد على هامش هذا النص معلومات عن الكتاب تؤكد النشاط المميز للعاملين في التراث قبل ثمانية عقود من الزمن إذ ورد في الهامش

(1) جورج مقدسي: وهو مؤرخ وبحاث عربي وهو محسوب على المستشرقين من أصول لبنانية، نال الدكتوراه من إحدى الجامعات الأوربية، وكان في مقدمة الذين نالوا كرسي اللغات الشرقية في جامعة هارفا الأمريكية، ينظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، (القاهرة: 1965)، دار المعارف: 3/ 981.

(2) ينظر: مقدسي، جورج، خطط بغداد في القرن الخامس الهجري، ترجمة: صالح احمد العلي، (بغداد: 1984)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص17.

ما يلي "انظر: يوسف غنيمة: "مؤلف مناقب بغداد" المنشور في مجلة لغة العرب، م4، (1926)، ص274، وهو ينسبه إلى ابن الجوزي الابن: أبو محمد يوسف[1] ؛يعقوب سركيس "ابن الجوزي مؤلف كتاب مناقب بغداد"، المنشور في لغة العرب، م5، (1927)، ص216–224؛. عبد العزيز الميمني الراجكوتي "كلمة في كتاب مناقب بغداد" منشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م9، (1927)، ص119–120، وهو يقول ان تاريخ 654 يجعل مؤلفه غير ابن الجوزي الذي توفي في سنة 579هـ، أو لعل الأخير كتبه ثم أضاف إليه فيما بعد حفيده سبط ابن الجوزي (المتوفي 654هـ) [2]؛ محمد راغب الطباخ (كتاب مناقب بغداد لابن الجوزي المتوفي سنة 597هـ) المنشور في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، م11، (1929)، ص439–444، وقد ذكرت كافة هذه المقالات في المقالة الفهرسية المفيدة جداً التي كتبها كوركيس عواد " ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية "، سومر، مج9، (1953)، بغداد" [3]، ويلاحظ من خلال هذا الهامش أمرين:

---

(1) ورد هذا الرأي ليوسف غنيمة في مجلة لغة العرب ضمن تعليق منفصل لا يتجاوز عشرة اسطر وليس حتى ضمن مقال، جاء فيها ان هذا الكتاب ليوسف ابن أبي الفرج ابن الجوزي المقتول سنة (656هـ/ 1258م) على يد المغول وان له كتاب أخر اسمه الإيضاح لقوانين الإصلاح، ينظر: مجلة لغة العرب، تشرين الثاني 1926، السنة الرابعة، ج5، ص274.

(2) عند مراجعة أحداث سنوات الغرق التي وردت عند السبط نجد انها تختلف تماماً عن ما ورد في نشرة الأثري، ففي سنة (614هـ/ 1217م) ذكر السبط تفاصيل الغرق وأيامه وموقف الخليفة منه في حين ورد في نشرة الأثري فقط السنة، وفي غرق سنة (646هـ/ 1248م) لم يرد ذكره عند السبط وفي سنة (654هـ/ 1256م) وردت تفاصيل عند الأخير تختلف تماماً عن ما ورد في نشرة الأثري وبذلك فلا يمكن قبول ان تنسب بعض عائدية المخطوط للسبط، ينظر: مرآة الزمان: 8/ 582، 770 –772، . 794.

(3) ينظر: مقدسي، خطط بغداد، ص17 هامش رقم (6).

أولاً: إن الهامش للمؤلف جورج مقدسي الذي كان متابع بامتياز لنشاط الباحثين العرب، وكان قد نشر بحثه "خطط بغداد في القرن الخامس الهجري" سنة 1959 في عددين من المجلد السادس في مجلة" العربية" التي تصدر في باريس[1]، في حين لم يعلق المترجم صالح احمد العلي في الهامش المذكور عن احتمال وقوع الأثري في الخطأ عندما نسب المخطوط لأبي الفرج ابن الجوزي، بينما كان له تعليقات في مواضع وهوامش أخرى على المقدسي عند ترجمته له وإصداره ككتاب[2]، فضلا عن أن العلي لم يذكر كتاب مناقب بغداد بنشرة الأثري أصلا عندما بحث في مصادر دراسة خطط بغداد، وهذا بحد ذاته يعود لأسباب يتناولها البحث لاحقاً.

ثانيا: يتبين من الهامش أن ما نشره الأثري كان محل جدل علمي يمتاز بأسلوب صحفي –قد يكون له دافع قطري– بدءاً منذ سنة 1926م عندما نشر يوسف غنيمة في مجلة لغة العرب[3]، تعليقا لا يتجاوز عشرة اسطر[4]، وضح فيه وقوع الأثري في الخطأ ونسب المخطوط إلى يوسف بن أبي الفرج ابن الجوزي (ت656هـ/ 1258م) وليس للأب أبو الفرج، ثم رد عليه يعقوب سيركيس سنة 1927م في نفس المجلة في مقال من تسعة صفحات مضمونها أن ما نشره الأثري هو مخطوط يعود أوله لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي المتوفي سنة (597هـ/

(1) ينظر: خطط بغداد، مقدمة المترجم، ص4.

(2) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر، خطط بغداد، ص10، 12، 13، 53 وغيرها.

(3) مجلة لغة العرب: وهي مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، كان يصدرها الأب انستاس ماري الكرملي ومدير تحريرها جواد الدجيلي، صدر العدد الأول منها سنة 1911م طبعت في مطبعة الأيتام للآباء الكرمليين المرسلين في بغداد، ينظر: دنكور، الياهو، الدليل العراقي الرسمي لسنة ينظر: مجلة لغة العرب: 5/ 274. 1936، (بغداد: 1936)، محل دنكور للطبع والنشر، ص864.

(4) ينظر: مجلة لغة العرب: 5/ 274.

1200م) وفي أخره لحفيده – وهو غير السبط يوسف بن قزوغلي – الذي تطابق مع جده في الاسم والكنية واللقب والمتوفي بعد سنة (700هـ/ 1300م) وان أدلته في ذلك اطلاعه على مخطوط يتكلم "عن أربعة رجال من بيت ابن الجوزي وهم محيي الدين أبو محمد يوسف وابنا وه جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن وشرف الدين عبد الله وتاج الدين عبد الكريم " [1]، ويلاحظ أن كلا من يوسف غنيمة ويعقوب سيركيس عند البحث في نسبة المخطوط لم يتطرقا إلى نقد النص بالمجمل، بل أن التركيز كان بما يخص أصول المخطوط وسنوات الوفاة بالنسبة للأب أبو الفرج ابن الجوزي والابن يوسف محمد والحفيد جمال الدين أبو الفرج، وبالتالي فان منهجهما في التعامل مع صحة المخطوط لا يرتقي إلى نقد النص واستنتاج عدم صحته او عكس ذلك، لكن من دون شك قد اثأر الأثري حراك علمي يعبر عن الاهتمام بالتراث البغدادي.

ونلاحظ أيضا اتساع هذا الجدل ليشمل الحيز العربي عندما نشر مقال عبد العزيز الميمني الراجكوتي[2] في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق سنة (1927م)، أوضح فيه أن المخطوط الذي نشره الأثري يعود في أوله لابن الجوزي المتوفي سنة (597هـ/ 1200م)، والجزء الأخير منه لسبطه يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/ 1256م)، وفي نفس المجلة لكن في سنة (1929م)، رد عليه محمد راغب الطباخ[3] بمقال ينتصر فيه للأثري ليكون عنوان مقالة "كتاب مناقب بغداد لابن الجوزي المتوفي سنة 597هـ".

---

(1) مجلة لغة العرب، (بغداد: 1927)، السنة الخامسة: 4/ 216–220.

(2) عبد العزيز الميمني الراجكوتي: لم أجد له تعريفاً

(3) محمد راغب الطباخ: هو مؤرخ حلبي ولد سنة 1875م، وتعلم في مدارسها، انشأ المطبعة العلمية ومارس التدريس، وانتخب عضوا بالمجمع العلمي بدمشق، توفي بحلب سنة 1951م، من أهم مؤلفاته أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ينظر: كحالة، معجم المؤلفين: 9/ 305.

إن هذا الحراك العلمي يعبر تماماً عن التنافس واستعارت الحجج العلمية لهذه الكوكبة من رواد العمل في التراث، ويبدو أن هذا المخطوط قد نال اهتمام المحدثين العرب خلال العقد الثالث من القرن العشرين، وان عمل هذه الكوكبة كان يرتقي بعمل المستشرقين بما يخص بحوثهم في أصول المخطوطات، كذلك يبدو أن مجلة لغة العرب كانت بديلاً عن مجلة المجمع العلمي العراقي والتي صدرت بعد عقدين من هذا الحراك العلمي.

فضلا عن ما سبق يلاحظ أن جورج مقدسي لم يجزم في مسألة عائدية المخطوط وأشار إلى غياب الوسيلة في ذلك اذ ذكر ما نصه "ولا يهمنا هنا فيما إذا كان الكتاب لابن الجوزي، أو لابنه أو لحفيده او إلى أكثر من واحد منهم، إنما يهمنا هو أن النص الذي ترجمناه ينسب إلى أبي الوفاء بن عقيل[1]. . . وان المخطوطة فريدة ولا توجد وسيلة لمعرفة عدد النسخ بين نسخة ابن عقيل الأصلية والنسخة – يقصد ما نشره الأثري – التي بين أيدينا تقوم على طبعة محمد بهجة الأثري. . . " [2].

ثالثاً: نقد الكتاب الذي نشره الأثري ونسبته لابن الجوزي:

ا- نقد مقدمة الناشر:

قام محمد بهجة الأثري بنشر المخطوط الذي يتحدث عن خطط بغداد، ونسبه لابن الجوزي بعد أن علق على هوامشه وأعطى له عنوان موسوم "مناقب بغداد" مستندا في ذلك لكتاب لابن الجوزي بهذا العنوان، وقد كتب الأثري مقدمة لهذه النشرة يبدو عليها بعض الملاحظات، على الرغم من كونها لا تتجاوز

(1) أبو الوفاء ابن عقيل: وهو محمد بن عقيل البغدادي، شيخ الحنابلة في بغداد، ولد فيها سنة (431هـ/ 1039م) وتفقه على شيوخها، له العديد من المؤلفات من أبرزها كتاب الفنون، توفي في بغداد سنة (513هـ/ 1119م)، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 19/ 443-450.
(2) ينظر: خطط بغداد، ص17.

الصفحتين، وقد جاء في بدايتها "فان من أثار السلف الصالح التي عثرت عليها بالبحث والتنقيب وصحة عزيمتي على طبعها ونشرها هذه الرسالة المسماة "مناقب بغداد" لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي... الملقب جمال الدين الشهير بابن الجوزي المتوفى سنة 597هـ" [1]، ويلاحظ إن الأثري قد وصف المخطوط الذي نشره بأنه "رسالة" وهو محق في ذلك من حيث الحجم، أما الكتاب الذي أشار إليه سبط ابن الجوزي وابن رجب الحنبلي ونسباه لابن الجوزي فقد وصف بأنه "مجلد" [2]، وهذا اختلاف لفظي على أقل تقدير.

وقد أشار الأثري في مقدمته كيفية الحصول على المخطوط الذي نسبه لابن الجوزي آذ قال " وقد أطلعني شيخي علامة العراق المفضال السيد محمود شكري الالوسي على نسخة فوتراغرافية[3] مهداة من حضرة العالم المحسن الجواد الشهير صاحب السعادة احمد تيمور باشا المصري إلى صديقنا الأستاذ انستاس ماري الكرملي، فوجدتها على صغر حجمها قد احتوت على فوائد مهمة بعبارة موجزة ربما يصعب العثور عليها في غيرها فراقت لي وعزمت على طبعها ونشرها" [4]، ولعل ما يثير الاستغراب إن مثل أولئك الأعلام في التحقيق والتراث قد غفلوا عن نفي نسبة هذه المخطوطة لابن الجوزي، لاسيما وان فيها من الأدلة والإثبات من حيث حجم المخطوط ومضمونه ما يدل على انه كتب بعد وفاة ابن الجوزي بحوالي خمسة عقود من الزمن، ويبدو إن حب التراث البغدادي قد دفع أولئك العلماء العراقيين إلى الرغبة في نشر المخطوط دون مراجعته والتأكيد من نسبته، ولعل ما ذكره الأثري في مقدمته يؤكد ذلك إذ قال: "وقد راجعت مابين يدي من

(1) ينظر: ابن الجوزي، مناقب بغداد، مقدمة الناشر، ص2.
(2) مرآة الزمان: 8/ 484؛ذيل طبقات: 3/ 418.
(3) علق الناشر محمد بهجة الأثري بهامش على كلمة فوتوغرافية في المقدمة بما يلي"يظهر من عبارة كتبت في هامش الكلام على انهار بغداد أنها منقولة عن نسخة بخط ابن الجوزي"، ويبدو للباحث ان ذلك يؤكد مسألة عدم نسبته لابن الجوزي، بل ان الأخير احد مصادر المؤلف المجهول.
(4) ابن الجوزي، مناقب بغداد، مقدمة الناشر، ص2.

الكتب التي ترجم فيها ابن الجوزي وذكرت له فيها ما ينيف على مائة كتاب في التفسير والحديث والفقه والسير والتراجم والوعظ والتصوف والجغرافية والتاريخ واللغة فلم أرى بينهما لهذه الرسالة ذكرا"[1]، لكن يبدو إن الأثري كانت مراجعته عابرة، إذ علمنا إن بعض أعلام المؤرخين ذكروا ذلك، مثل سبط ابن الجوزي والذهبي (ت748هـ/ 1347م) وابن رجب الحنبلي، بأنه لابن الجوزي "كتاب مناقب بغداد مجلد"[2]، كذلك أشار بروكلمان إلى هذا العنوان ونسبه لابن الجوزي[3]، ولعل ما يثير الاستغراب أيضاً إن مصطفى جواد[4]، قد اقر بنسبة مضمون هذا المخطوط لابن الجوزي عندما أشار إلى انه "رسالة مختصرة لكتاب مناقب بغداد لابن الجوزي" [5]، ويبدو انه لم يطلع على مجمل النص المنشور والذي فيه نصوص تشير إلى أحداث قد جرت بعد سنة (614هـ/ 1217م) [6]، كذلك لا ننسَ حداثة سن الأثري عند نشره المخطوط سنة 1924 بمطبعة دار السلام وبدايات عمله بالتراث كان من أهم الأسباب التي دعته إلى عدم التريث في نشر المخطوط والتأكد من نسبته، كذلك يبدو إن علاقته الجيدة مع مصطفى منعت الأخير من التصريح

---

(1) مناقب بغداد، مقدمة الناشر، ص2.

(2) ينظر: مرآة الزمان :484/8؛ الذهبي ،محمد بن احمد بن عثمان ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ،تحقيق :عمر عبد السلام تدمري ،ط2 ،(بيروت:1999) ،دار الكتاب العربي ،(حوادث سنة 591–600هـ) ،ص289 ؛ذيل طبقات الحنابلة :418/3.

(3) اشتهر بروكلمان بنشر بعض كتب ابن الجوزي فضلاً عن دراساته عنه مثل دراسته لكتاب تلقيح مفهوم أهل الأثر وكتاب الوفا في فضائل المصطفى.

(4) مصطفى جواد: وهو لغوي وباحث واحد أعلام نهضة العراق في العصر الحديث ولد في بغداد سنة (1910م)، وتلقى تعليمه فيها ثم واصل تعليمه العلي فلم يوفق في السوربون، لكنه حصل على الدكتوراه من مصر، ثم ذاع اسمه وانتشر في المجامع العلمية واللغوية العربية، وصدر له عشرات المؤلفات في اللغة وفي التاريخ والتراث البغدادي توفي سنة 1969م في بغداد، ينظر: البكاء، محمد عبد المطلب، مصطفى جواد وجهوده اللغوية، (بغداد: 1987)، دار الشؤون الثقافية العامة، ص27– 44.

(5)ينظر: العلوجي، مؤلفات ابن الجوزي، ص177.

(6) ينظر: مناقب بغداد، ص34.

بخطأ نسبة المخطوط لابن الجوزي فيما بعد، في حين إن أشارته بأنه مختصر لمناقب بغداد غير صائبة، أن الباحث في كتب التراث البغدادي يجد هناك الكثير ممن سبق الالوسي والأثري وجواد في تناولهم لخطط بغداد[1]، ولم يكن المستشرقون بعيدين عن هذا الموضوع ولعل من أبرزهم كي لسترنج[2]، الذي أبدع في كتابه الموسوم "بغداد في عهد الخلافة العباسية " [3].

أما ما يخص مصطفى جواد فهو من أكثر الباحثين العراقيين اهتماماً بخطط بغداد القديمة وأغزرهم نتاجاً فقد وضع منذ سنة 1929م حتى وفاته عدد كبيرا من البحوث والمقالات، حتى انه اوجد مصطلح "قبوريين" والذين يقصد بهم المتطفلين على علم الخطط والتراث وأنهم عنوا بنسبة قبر ما إلى علم معين دونما تدقيق كان[4]، ويتكرر الاستغراب كيف إن هذا الناقد المبدع ينسب كتاب مناقب بغداد بنشرة الأثري إلى انه مختصر لكتاب ابن الجوزي، إذ ما علمنا حوادث في مضمون النص تشير إلى سنة (654هـ/ 1256م) [5]والجدير بالذكر أن صالح احمد العلى في نقده لكتب التاريخ والجغرافية التي تناولت بغداد في بحثه الموسوم

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول ذلك ونقد تلك المؤلفات ينظر: رؤوف، عماد عبد السلام، خطط بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين، مجلة المؤرخ العربي، (بغداد: 1994)، العدد 49، ص90.

(2) كي لسترنج: هو مستشرق انكليزي ولد سنة (1854م) أولع بالدراسات الشرقية فتعلم العربية والفارسية واستقر في كمبرج سنة (1907)، له عدة دراسات تجمع بين التاريخ والجغرافية، من أهم مؤلفاته المترجمة، بلدان الخلافة الشرقية وكتاب بغداد في عهد الخلافة العباسية، الذي اخطىء يحيى مراد وسماه (بغداد عاصمة الخلافة العباسية)، توفي لسترنج سنة 1934م، ينظر: مراد يحيى، معجم أسماء المستشرقين، (بيروت: 2004) دار الكتب العلمية، ص625.

(3) نشر هذا الكتاب سنة 1900م، وأعيد طبعه سنة 1924م وترجمه بشير يوسف فرنسيس سنة 1936م في بغداد.

(4) حول نتاجه ينظر: رؤوف، خطط، ص102.

(5) مناقب بغداد، ص34.

"مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية" [1]، لم يتطرق إلى كتاب مناقب بغداد بنشرة الأثري المنسوب لابن الجوزي على الرغم من إن بحثه هذا قد نشر بعد حوالي أربعة عقود من طبع الأثري للمخطوط المنسوب، ويبدو لي إن تجاهل العلي لنشرة الأثري يعود إلى عدم اقتناعه بنسبة الكتاب لابن الجوزي، فضل عن معرفته بما صرح به مصطفى جواد إن هذه النشرة هي مختصر لمناقب بغداد وليس الكتاب الأصلي لابن الجوزي، وبالتالي فان مثل هذا اللغط دفع بالعلي إلى العزوف عن وضع هذا الكتاب ضمن قائمة الكتب التي نقدها في بحثه، أو أن العلاقة الشخصية بين الأثري وجواد والعلي والمحافظة عليها – وهم رواد مجلة المجمع العلمي العراقي وأعضاء في تحريرها– كانت السبب المنطقي لتجاهل الأخير نشرة الأثري.

يبقى إن هناك مسالة في غاية الأهمية، الاولى: اعتماد الأثري على نسخة واحدة، والتي هي أساسا نسخها من الصورة الفوتوغرافية، كذلك عدم ذكر الأثري المعلومات عن المخطوط فقط أشار أنها"في الخزانة التيمورية في القاهرة" وفق ما ورد على واجهة النشرة، ولم يقدم لنا رقم المخطوط أو تصنيفها، وهذا ما يؤكد ما ذهب إليه البحث.

ب–نقد مضمون النص:

على الرغم من المعطيات التي وردت في نقد مقدمة الناشر، من إن الكتاب الذي نسبه الأثري لابن الجوزي ليس من مؤلفات الأخير، ألا انه تبقى معطيات مضمون النص في عدم نسبته أدق، إذ نجد إن هناك أشارت في نمط المضمون لا ترتبط مع حياة ابن الجوزي وسيرته، أو أنها لا تنسجم مع ثقافته وطبيعة تأليفه، في حين لا يغفل البحث أجراء مقارنات بين الحوادث المذكورة في نشرة الأثري،

---

(1) ينظر: مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد: 1967)، العدد 14، ص3–23.

والحوادث المذكورة في الكتب الأخرى لابن الجوزي والتي من المفترض وجودها مثل كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" وكتاب "المصباح المضيء بفضائل المستضيء"، كذلك القيام بالبحث عن الشخصيات التي عاصرها ابن الجوزي وتفاعل معها ومدى تمثيل وجودها في نشرة الأثري، ولعل من أكثر المعطيات دقة في عدم نسبة الكتاب لابن الجوزي هو ذكر بعض السنوات التي جرت أحداثها بعد وفاة المؤلف وهذا ما يتطرق أليه البحث لاحقا.

ب-1: مضمون النص وارتباطه بحياة ابن الجوزي:

يلاحظ من مضمون نص نشرة الأثري انه لا يرتبط بحياة ابن الجوزي في كثير من الأحيان، فضلاً عن عدم ارتباطه بمشاهداته التي كان قد ذكر معظمها في كتابه (المنتظم) وكتابه الآخر(لفتة الكبد في نصيحة الولد) والذي يورد أخبار نفسه ويوصي ابنه يوسف ان يقلده في حياته [1]، فمثلاً يورد ابن الجوزي في المنتظم مجالس وعظه حوالي أربعين مرة [2]، في حين لا نجد أي ذكر لهذه المجالس في نشرة الأثري، في الوقت الذي كان موضوع النشرة خطط بغداد ومساجدها، ومن المفروض ان يرد بعض الشيء مما ورد من مبالغات ومدح تلك المجالس كما هو معروف عن ابن الجوزي في وصف ذلك، كذلك لا نجد ذكراً لشيوخ ابن الجوزي في نشرة الأثري، لكننا نجد انه قد ذكر أسماء عشرات ممن تلقى منهم العلم في بغداد في المنتظم وأشار إلى الكثير من تفاصيل حياتهم وأماكن

(1) كارل بروكلمان، ما صنف علماء العرب في أحوال أنفسهم، بحث منشور ضمن مجموعة بحوث للمستشرقين ضمن كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين، جمعها ونقلها إلى العربية: صلاح الدين المنجد، (القاهرة: 1955)، لجنة التأليف والترجمة والنشر: 1/ 14.

(2) على سبيل المثال لتلك المجالس، ينظر: المنتظم: 10/ 30، 177، 193، 206، 215، 226، 237، 239، 251-252.

سكانهم وقبورهم، فعلى سبيل المثال ذكر شيخاه أبو الفضل ابن ناصر [1]وأبو الحسن ابن الزغواني [2]عشرات المرات خلال سرده للحوادث في المنتظم.

فضلاً عن ما سبق يلاحظ ان هناك أماكن مثل الربط والدروب والمقابر قد ورد ذكرها في المنتظم ولم ترد أطلاقاً في نشرة الأثري فمثلاً رباط بهروز الخادم (ت540هـ/ 1145م) ورباط بنقشه قد ورد في المنتظم عدة مرات ولم يورد في نشرة الأثري[3]، كذلك مقبرة بشر الحافي ومقبرة الزرادين ومقابر قريش لم يرد ذكرها وهي أماكن مشهورة في بغداد وقد وردت في المنتظم عشرات المرات [4]، اما ما يخص الدروب فلا نجد على سبيل المثال ذكراً لدرب الدروب او درب بهروز [5] او ذكرلمحلة باب بدر الذي له مكانة خاصة عند ابن الجوزي فقد ذكره في المنتظم أكثر من عشرين مرة لأنه مكان مجلس وعظه، وله معرفة به بشكل كبير[6] .

اما المدارس التي درس بها ابن الجوزي وذكرها في المنتظم أكثر من خمسة عشر مرة ولم يرد ذكرها في نشرة الأثري فعلى سبيل المثال مدرسته في درب دينار ومدرسته في باب الازج ومدرسته في دار النظام ابن جهير [7] ، ان إغفال ذلك يؤكد ما ذهب أليه البحث بان مؤلف المنتظم هو ليس مؤلف ما

(1) بما يخص شيخه ابن ناصر وعلى سبيل المثال، ينظر: المنتظم: 10/ 63، 75، 78، 90، 98، 101، 162.
(2) بما يخص شيخه الزغواني وعلى سبيل المثال، ينظر: 10/ 53، 108، 126، 141، 179، 236، 248,
(3) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر، المنتظم: 10/ 100، 220، 224، 254، 271.
(4) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر، المنتظم: 10/ 226، 229، 238، 242، 245.
(5) ينظر: ذكر في المنتظم وعلى سبيل المثال: 10/ 224، 254، 262.
(6) ينظر: على سبيل المثال بما يخص باب بدر: 10/ 252، 256–257، 262 –263، 267، 287.
(7) حول تلك المدارس وأخبارها في المنتظم، ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: 10/ 201، 124–125، 250، 252، 289.

نشره الأثري، والمتابع لنصوص ابن الجوزي عن تلك المدارس، يدرك ان الأخير لا يدخر فرصة في ذكر مكانتها وموقعها.

وفي سياق آخر يلاحظ ان هناك أماكن قد ورد ذكرها في المنتظم بتسميات تختلف عن ما ورد في نشرة الأثري مما يدل على ان زمن التأليف لكلا النصين مختلف، فمثلاً عند ابن الجوزي في المنتظم ورد في أحداث سنة (566هـ/ 1170م) نصاً" وفي هذه الأيام فتح قيماز باباً من داره التي بدار الخليفة إلى السوق مما يلي دكاكين الاساكفة ونصب عليها باباً من حديد. . . " [1] ، اما النص الذي ورد في نشرة الأثري فهو". . . وكانت سوق دار بطيخ قبل ان ينقل الكرخ من درب يعرف بدرب الاساكفة ودرب يعرف بدرب الزيت. . . " [2]، ان الاختلاف مابين "دكاكين الاساكفة " و"درب الاساكفة" يشير إلى اختلاف المؤلف وزمن التأليف.

وتأكيد لما سبق فان هناك نصين الأول لابن الجوزي في المنتظم، والثاني ورد في نشرة الأثري يتشابهان في الموضوع ويختلفان في التفاصيل مما يدل على ان لكل نص مؤلف وليس العكس، فقد ورد في المنتظم في أحداث سنة (572هـ/ 1176م) ما يلي "وفي يوم الجمعة خامس ذي القعدة اذن في اقامة الجمعة بمسجد بشارع دار الدقيق من الجانب الغربي فأقيمت فيه، وقد ذكرنا انه اذن في اقامة الجمعة بمسجد ابن المأمون في جمادى الاولى فمن العجائب تجدد جامعين في بغداد في سنة واحدة " [3]، أما في نشرة الأثري فقد ورد ما نصه ". . . ثم مسجد دار الرقيق أذن في صلاة الجمعة فيه في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة. ثم مسجد بقصر عيسى عمره أبو المظفر الحسن ابن هبة الله بن المطلب واستأذن المستضيء بأمر الله في عقد الجمعة فيه فأذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء، بجواز ذلك فأجاز بعض الفقهاء فعقدت الجمعة في أواخر سنة اثنتين

---

(1) المنتظم: 10/ 237.
(2) ينظر: مناقب بغداد، ص14.
(3) المنتظم: 10/ 266.

وخمسمائة، ثم منع المستضيء من الصلاة فيه فلما ولي الناصر لدين الله سئل في ذلك فأجاب فصلى فيه في أواخر ذي الحجة سنة خمسة وسبعين وخمسمائة" [1]، ويلاحظ من اختلاف النصين عدة أمور أهمها:

1- انه ورد في نص ابن الجوزي اليوم (5ذي العقدة) الذي أذن فيه الصلاة بمسجد دار الرقيق، أما في نشرة الأثري لم يرد سوى الشهر (ذي العقدة) من سنة (572هـ) المصادف شهر أيار من سنة 1176م.

2- ورد في المنتظم "شارع دار الدقيق " وفي نشرة الأثري "شارع دار الرقيق " ويبدو أن الاختلاف هو تصحيف في نص المنتظم لان التسمية هي دار الرقيق [2] .

3- يلاحظ أيضاً انه في المنتظم ورد "إقامة الجمعة بمسجد ابن المامؤن "، أما في نشرة الأثري فانه أقيمت الجمعة في "مسجد بقصر عيسى " ويبدو ان المكان واحد، وان سبب اختلاف التسمية يعود لاختلاف زمن التأليف وهذا ما يؤكده لسترنج بقوله "وقصر عيسى قد أطلق أسمه على المحلة من حوله " [3]، ثم يضيف انه " كان الربط المزدحم بالسكان والأسواق المعروفة جميعها باسم محلة قصر عيسى موجود في أوائل القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر الميلادي في زمن ياقوت مع أن القصر نفسه لم يبق له أثر، وكانت المحلة معروفة بمسجدها مسجد ابن المطلب"[4]، وبذلك فان التسمية التي وردت في نشرة الأثري من نتاج التأليف في القرن السابع وان تسمية ابن الجوزي في المنتظم "بمسجد ابن المأمون" هي من نتاج التأليف في القرن السادس، في حين لا ننسى الاختلاف بين المنتظم ونشرة الأثري بما يخص الوقت الذي أذن

---

(1) ينظر: مناقب بغداد، ص23.
(2) ينظر: مقدسي، خطط بغداد، ص23.
(3) ينظر: بغداد في عهد الخلافة العباسية، ص82.
(4) لسترنج، بغداد في عهد الخلافة، ص83.

فيه للصلاة بالمسجد، ففي المنتظم كان في "جمادى الأولى "، وفي نشرة الأثري كان في أواخر سنة 572هـ – أي انه مابين شهري ذي القعدة وذي الحجة، وهذا الاختلاف بحد ذاته يدل على اختلاف المؤلف فضلاً عن اختلاف المصدر لكل منهما، وكذلك يبدو أن التسلسل الزمني في المنتظم تسلسلاً منطقياً، أما في نشرة الأثري لا ينسجم مع تسلسل الأشهر العربية الوارد ذكرها.

4- يلاحظ من نص ابن الجوزي في المنتظم انه يختم نصه بالقول " فمن العجائب. تجدد جامعين ببغداد في سنة واحدة"، أما في نشرة الأثري فان هناك تفاصيل عن مسجد قصر عيسى، حيث قام بتعميره "أبو المظفر الحسن ابن هبة الله بن المطلب الذي استأذن الخليفة المستضيء بأمر الله في عقد الجمعة فيه فأذن في ذلك بشرط فتوى الفقهاء بجواز ذلك فأجاز بعض الفقهاء فعقدت الجمعة. . . ثم منع المستضيء من الصلاة فيه، فلما ولي الناصر لدين الله سئل في ذلك فأجاب فصلى فيه أواخر ذي الحجة سنة خمس وسبعين وخمسمائة"[1]، ان هذه التفاصيل والزيادة تؤكد الاختلاف وان النص ليس لابن الجوزي اذ قارناه بما ورد في المنتظم، فضلاً عن ما سبق فان أبو المظفر الحسن المذكور قد توفي سنة (578هـ/ 1182م) وانه معاصر لابن الجوزي هو وأبيه الوزير الشافعي هبة الله بن محمد بن المطلب وكان ذا أموال كثيرة وانشأ الجامع الكبير بالجانب الغربي ومدرسة للشافعية ورباطاً ومسجداً [2]ويبدو لي انه لا يمكن لابن الجوزي أن يذكر الإضافة التي وردت بحق أبو المظفر الحسن بن هبة الله في نشرة الأثري لان الأخير من أبناء احد متقدمي الدولة العباسية في ذلك الوقت وان مذهبه الشافعي يزيد الاعتقاد بان ابن الجوزي الحنبلي من المتنافسين معه او مع أتباعه على اقل تقدير، وان مؤلف نشرة الأثري

(1) مناقب بغداد، ص23.

(2) لمزيد من التفاصيل عن أبي المظفر حسن بن الوزير هبة الله، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 21/ 97-98.

قد يكون على المذهب الشافعي وانه لا يجد حرجاً في ذكر تفاصيل المسجد الذي عمره احد متقدمي الشافعية في بغداد.

فضلاً عن ما سبق فان هناك أماكن لم ترد في المخطوط الذي نشره الأثري، من المفترض إن لها اثر في حياة ابن الجوزي، فعلى سبيل المثال لا الحصر"درب حبيب"[(1)]، وهو المكان الذي ولد فيه ابن الجوزي[(2)] والذي يقع فيه أيضا مسجد أبي الفضل بن ناصر وهو المسجد الذي تعلم فيه القران في طفولته وفق ما ورد في إحدى المصادر[(3)]، في حين لم يوجد للمكانين ذكر على الإطلاق في نشرة الأثري، أما مجالس وعظه فهي لم ترد بشكل مطلق في نشرة الأثري في الوقت الذي كان ابن الجوزي حريصا على ذكر مجالسه تلك وأماكنها، فعلى سبيل المثال ورد في كتابه المنتظم في أحداث سنة (569هـ/ 1173م) بقوله "وفي يوم الجمعة جلست في جامع المنصور فحرز الجمع بمائة ألف" [(4)]، كذلك هناك أماكن لم يرد ذكرها في النشرة كان من المفترض ذكرها لأنها ذات خصوصية في حياته مثل جلوسه للوعظ لأول مرة عند الرباط بالحلبة بجانب السور[(5)]، فلم نجد ذكر للسور ولذلك الرباط، كذلك مجلسه ووعظه في مسجد معروف [(6)] وفي دار الوزير ابن هبيرة[(7)] الذي ورد في المنتظم في الوقت الذي يغيب ذكره في نشرة الأثري مما

---

(1) درب حبيب: تم تعريفه سابقاً.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 81؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين: 5/ 37.

(3) ابن رجب، ذيل طبقات: 3/ 400-401.

(4) ينظر: ابن الجوزي: 10/ 242.

(5) حول مجلس وعظه بالحلبة، ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات: 3/ 402.

(6) مسجد معروف: هو الذي يقع على نهر دجلة في محلة قصر عيسى، ويعود إلى معروف الكرخي الذي عاصر الخليفة هارون الرشيد، ينظر: جواد وسوسة، مصطفى واحمد، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديماً وحديثاً، (بغداد: 1958)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص90.

(7) الوزير ابن هبيرة: وهو عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد ولد سنة (499هـ/ 1105م) دخل بغداد شاباً وتفقه فيها، وزر للخليفة المقتفي وابنه، وتعصب للحنابلة، كان له دور كبير في الأحداث السياسية، توفي سنة (560هـ/ 1163م)، له عدة مؤلفات أبرزها كتاب

يرجح أن مؤلف النشرة لم يعاصر ابن هبيرة [1] ولم يكن له اهتمام بمجالس الوعظ في باب بدر [2] .

ولعل أجراء مقارنة لوصف مكان واحد ورد في نشرة الأثري وفي كتاب أخر لابن الجوزي كالمنتظم على سبيل المثال يعزز ما ذهب أليه البحث، فمثلا جامع المنصور [3] ورد في نشرة الأثري مرة واحدة فقط بأنه"لم تزل هذه الجوامع كثيرة الفرج كانت الفرجة والنزهة وافرة بجامع المنصور كل جمعة. . . " [4] وهذا النص يدل بالنسبة لكاتبه إن هذا الجامع واسع المساحات وان الناس تتجول فيه للنزهة، أما نصوص ابن الجوزي في المنتظم فقد ورد ذكر جامع المنصور عشرات المرات[5] ، جاء في احدها"جلست في جامع المنصور فحرز الجمع بمائة ألف. . . وسألني أهل الحربية إن اعقد عندهم مجلسا للوعظ ليلة فوعدتهم. . . فعبرت إلى باب البصرة فدخلتها بعد المغرب فتلقاني أهلها بالشموع الكثيرة وصحبني منها خلق عظيم. . . فلما خرجت من باب البصرة رأيت أهل الحربية قد اقبلوا بالشموع. . . فما رأيت البرية ألا مملؤة ضوءاً وخرج أهل المحال والرجال والنساء والصبيات ينظرون. . . فلو قيل إن الذين خرجوا يطلبون المجلس وسعوا في الصحراء بين باب البصرة والحربية مع المجتمعين في المجلس كانوا ثلثمائة ألف ما ابعد القائل"

الصحاح عن معاني الاوضاح، ينظر: العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (بيروت: د/ ت)، دار أحياء التراث العربي: 4/ 192-195.

(1) حول ذكر ابن هبيرة في المنتظم وعلى سبيل المثال، ينظر: 10/ 197-198، 200، 203، 206، 210، 213، 215، 222.

(2) حول مجالس وعظه في تلك الأماكن، ينظر: ابن رجب، ذيل طبقات: 3/ 402-403، . 207.

(3) جامع المنصور: ويسمى أيضاً جامع المدينة أو الجامع العظيم، وكان ملاصقاً لقصر باب الذهب وهو أول جامع في بغداد شيده الخليفة أبو جعفر المنصور، و ظل تقام فيه صلاة الجمعة طوال القرون الخمسة من الحكم العباسي، وهو اكبر جوامع بغداد، ينظر: لسترنج، بغداد، ص39-42.

(4) مناقب بغداد، ص23.

(5) على سبيل المثال لا الحصر، ينظر: المنتظم: 10/ 188، 193، 204، 215.

[1]، وجاء في نص آخر في أحداث سنة (572هـ/ 1176م) " وعبرت إلى جامع المنصور فوعظت فيه بعد العصر وعبر الناس من نهر معلى واجتمع أهل المحال فحزر الجمع مائة الف ورجعنا إلى نهر معلى والناس ممتدون من باب البصرة إلى الجسر وكان يوماً مشهوداً " [2] ويبدو من النصين السابقين أمور عدة أولها: المبالغة في الأعداد الواردة، وثانيها: حرص ابن الجوزي على ذكر الأماكن والانتقال وتوظيف معرفته بتلك الأماكن في أظهار مكانته في الوعظ، في حين انه عمليا لا يسع جامع المنصور العدد الذي أشار أليه"مائة ألف"، فضلا عن ذلك ومن باب المقارنة نجد ان سياق النص عن جامع المنصور في نشرة الأثري يبين إن صاحبه شخص بغدادي يكاد يكون من أواسط الناس قد وصف الجامع من وجهة نظره بأنه واسع الفرجة، في حين أن سياق النص عند ابن الجوزي يدل على انه –بالرغم من المبالغة– ذو شهرة واسعة مولعا بذكر محاسنه ولا يفوته إن يشير إلى المواضع التي زارها مع ذكر أزمنة زيارته، وفي نفس وجه المقارنة نجد إن باب البصرة ورد في نشرة الأثري مرة واحدة ووصف بأنه"ذات السكة البعيدة"[3]، لكن ابن الجوزي ورد عنده باب البصرة وأهله بشكل إلى حد بعيد مختلف.

ولعل جامعا القصر والحربية اللذان ورد ذكرهما مرة واحدة في نشرة الأثري[4]، لا يختلفا عن ما ذكرناه سابقا، لاسيما وان جامع الحربية ورد بصيغة انه مجرد جامع تقام فيه صلاة الجمعة مع عدة جوامع أخرى، في حين إن هذا الجامع له مكانه عند ابن الجوزي لاسيما وان معظم مجالس وعظه كانت فيه[5].

---

(1) المنتظم: 10/ 242–243،
(2) المنتظم:10/ 263، كذلك ورد ما يشابه هذه الرواية في أحداث سنة (573هـ/ 1175م): 10/ 270.
(3) مناقب بغداد: ص27.
(4) مناقب بغداد: ص22.
(5) لمزيد من التفاصيل حول مجالس وعظ ابن الجوزي، ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المصباح المضيء في خلافة المستضيء، تحقيق: ناجية عبد الله إبراهيم، (بغداد:

يبقى لابد من الإشارة إلى إن مدرسة درب دينار[1]، والتي أنشاها ابن الجوزي ودرس بها[2]، لم ترد مطلقا في النص الذي نشره الأثري مما يؤكد الشكوك في نسبة تلك المخطوطة المنشورة لابن الجوزي أنما هي لمؤلف أخر بغدادي من دون شك، وهناك نصوص مرتبطة بحياة ابن الجوزي تؤكد ما ذهب إليه البحث، فمثلاً عاصر ابن الجوزي بهروز الخادم [3] و سنة هدم تاج الخليفة[4]، لأنه اشرف على الهدم وذلك سنة (524هـ/ 1129م) وفق ما أشار في المنتظم[5]، بالمقابل لم نجد مثل هذه الرواية في نشرة الأثري، بل نجد رواية أخرى في نفس أحداث السنة وهي انه قام بهروز الخادم بعمارة المخرم والمعروف بجامع السلطان[6]، إن عرض هاتين الروايتين يدل على أن كل رواية تعود لمؤرخ يختلف عن الأخر، وفي نفس

1976)، مطبعة الأوقاف، مقدمة المحقق: 1/ 32-34؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، فضائل القدس، تحقيق: جبرائيل سليمان جبور، (بيروت: 1980)، ط2، ص28-34؛الدوري، خضر، ابن الجوزي، مجلة آداب الرافدين، (الموصل: 1972)، العدد الرابع، ص125-127.

(1) مدرسة درب دينار: وهي المدرسة التي عرفت أيضاً بمدرسة ابن الجوزي، وهي تقع بالقرب من داره على الشط المتصلة بقصور الخليفة وبمقبرية من باب البصلية أخر أبواب السور من الجنوب، ينظر: جواد وسوسة، دليل خارطة، ص173، 247.

(2) ابن رجب، ذيل طبقات: 3/ 405.

(3) بهروز الخادم: وهو بهروز بن عبد الله الملقب بمجاهد الدين، ولي العراق نيفاً وثلاثين سنة، ثم تولى تكريت في عهد السلطان مسعود والذي كان خادماً عنده وبنى لنفسه رباطاً في بغداد على شاطئ دجلة، توفي سنة (540هـ/ 1145م)، ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 186.

(4) تاج الخليفة: وهو قصر بناه الخليفة المكتفي بالله على شاطئ دجلة، ثم زاد عليه الخليفة المقتدر بالله، وأصبح أهم مركز رسمي للخلفاء واستحدث إلى جانبه منشآت عمرانية أخرى، وصار يعرف قصر التاج في العصور المتأخرة بدار الشاطبية، ينظر: حول ذلك: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: 1/ 149؛ لسترنج، بغداد، ص215-216؛ ليسنر، يعقوب، خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، ترجمة: صالح احمد العلي، (بغداد: 1984)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص100-101.

(5) ينظر: 10/ 14.

(6) ينظر: مناقب بغداد، ص23.

السياق نجد انه في أحداث سنة (538هـ/ 1143م) جاء في المنتظم أن ابن الجوزي شعر بحدوث زلزال حدث في بغداد بقوله "وزلزلت الأرض ليلة الثلاثاء رابع عشرين ذي القعدة فكانت رجة عجيبة كنت مضطجعا على الفراش فارتج جسدي منها" [1]، في حين ورد نص في نشرة الأثري لنفس أحداث السنة جاء فيه انه"أستأذن عمر بن بهلقا الطحان[2] في عمارة مسجد العقبة من ماله وان يجعله جامعا فأذن له فصليت به الجمعة في منتصف شعبان سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة" [3]، وبذلك أذا كان هذا النص منسوب لابن الجوزي فانه من المفترض أن يورد في المنتظم أو إن تذكر حادثة الزلزال في نشرة الأثري، لكن هذا الاختلاف يؤكد أن الروايتين تعودان لمؤرخين مختلفين وليس لمؤرخ واحد، في حين انه ورد في المنتظم نص يختلف عن سياق نص نشرة الأثري ولا يرد فيه أي إشارة إلى علاقة ابن الجوزي في مسجد العقبة، بل انه يسميه بغير هذا الاسم اذ ذكر في أحداث سنة (538هـ/ 1143م) بأنه "إذن في إقامة الجمعة بجامع ابن بهليقا فصار احد الجوامع المذكورة"، زيادة على ذلك عندما يترجم ابن الجوزي للأخير يذكر الجامع وأحواله لكنه لا يذكر انه صلى به كما ورد في نشرة الأثري [4]، ان اختلاف تسمية المسجد وفق ما ورد في المنتظم وفي نشرة الأثري، له دلالة على اختلاف عصر التأليف.

ب–2: مضمون النص وارتباطه بثقافة وطبيعة تأليف ابن الجوزي:

(1) ينظر: 10/ 108.
(2) عمر بن بهلقا الطحان، قال عنه ابن الجوزي انه عمر مسجد العقبة بالجانب الغربي من بغداد وانه اشترى ما حول المسجد وانه يستغرب من يذكرون ان عمر بن بهليقا هو الذي بنى جامع العقبة ويؤكد على تسمية جامع العقبة، نوفي عمر سنة (560هـ/ 1164م)، ينظر: المنتظم، 10/ 212.
(3) ابن الجوزي، مناقب بغداد، ص23.
(4) ابن الجوزي، المنتظم، 10/ 108، 212.

من المعروف أن هناك بصمات يمتاز بها كل مؤلف من حيث أسلوبه في التأليف أو طبيعة مضمون النص، وكل ذلك له علاقة بثقافته وأنماط اهتماماته، وعلى الرغم من شهرة ابن الجوزي في العلوم الدينية ألا انه امتاز أيضا بالتدوين التاريخي وابرز كتبه في ذلك هو "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، فضلا عن كتب المناقب والفضائل مثل كتاب "مناقب بغداد" وكتاب "فضائل القدس" وفي مقارنة بين الكتابين فقد نشر الأثري وفق اجتهاده الكتاب الأول –وهذا ما ينفيه البحث –، ونشر الثاني عدة مرات من أشهرها نشرة دار الأفاق الجديد بتحقيق جبرائيل سليمان جبور، ويلاحظ من كتاب (مناقب بغداد) بنشرة الأثري المنسوب لابن الجوزي انه يختلف من حيث الأسلوب والمنهج عن كتاب فضائل القدس والذي فيه الجانب الروحي قد طغى على الكتاب، أما كتاب مناقب بغداد بنشرة الأثري فانه ذات أسلوب وصفي يتعرض للجانب المعماري والخططي للمدينة، فضلا عن سردية الحدث التاريخي من خلال التفصيل في اسم بغداد ومراحل بنائها وتطور توسعها من بناء الرصافة والكرخ، ثم الحديث عن أوضاع الري ووصول المياه إلى حماماتها، ووصف محلاتها ومقابرها وابرز مساجدها[1] وهذا مصدره كله وفق ما ورد في الجزء الأول من كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، في حين لأنجد ذكرا لمثل هذه الجوانب في كتاب فضائل القدس مما يزيد الشك في عدم نسبة ما نشره الأثري لابن الجوزي، فضلا عما سبق فان هناك أمورا عدة تؤكد ما ذهب إليه البحث وهي:

أولا: يلاحظ بأنه لا يوجد في مقدمة النص المنشور بسملة وحمد له ولا مقدمة للمؤلف، وهذا ما لم يعتاد عليه ابن الجوزي في مؤلفاته، فانه يبدأ في تصانيفه ببسملة وحمدلة ثم مقدمة فيها تمجيد واجلالة لله عز وجل، ثم يوضح

(1) مناقب بغداد، ص6–26.

دوافع التأليف ويستعرض مادة الكتاب من خلال أبوابه أو فصوله[1]، في حين ورد في مقدمة نشرة الأثري وفي بداية النص ما يلي "نقلت من كتاب مناقب بغداد والذي ألفه الشيخ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي قال: ذكر علماء الأوائل أن إقليم الأرض سبعة وان الهند رسمتها فجعلت صفة الأقاليم كأنها حلقة. . . "[2]، ويلاحظ من هذا المدخل انه كتب بعد تصنيف ابن الجوزي كتابه "مناقب بغداد" بدليل وجود عبارة " نقلت من كتاب. . " ولعل ذلك ما دعا مصطفى جواد أن يزعم أن نشرة الأثري هي المخطوط المختصر لكتاب مناقب بغداد[3]، لكن ما ينفي زعم جواد هو إن كتاب المنتظم الذي تنتهي حوادثه سنة (574هـ/ 1178م) ورد فيه عبارة "وذكرت ذلك في مناقب بغداد" [4] مما يدل أن المناقب قد صنف قبل المنتظم فكيف تكون نشرة الأثري المختصر وقد ورد فيها أحداث سنة (575هـ/ 1179م) وما بعدها من أحداث بداية ومنتصف القرن السابع الهجري[5]، وهي أحداث جرت بعد وفاة ابن الجوزي سنة (597/ 1200م)، وبذلك فان النص الذي نشره الأثري ليس لابن الجوزي وليس مختصرا لكتابه مناقب بغداد.

ثانياً: يلاحظ عند مقارنة بعض النصوص في الكتاب المنسوب لابن الجوزي وكتبه الأخرى وجود بعض الاختلافات بما يخص بعض الشخصيات الواردة في كلا الكتابين، فمثلا ورد في نشرة الأثري الحديث عن مقابر بغداد ومقبرة

(1) على سبيل المثال لا الحصر، ينظر: ابن الجوزي، فضائل القدس، ص63–65؛ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، الأريج في المواعظ والتواريخ، دراسة وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، (القاهرة: 2002)، دار البيان العربي، ص21. .

(2) مناقب بغداد، ص4.

(3) العلوجي، مؤلفات، ص177.

(4) ينظر: ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه: نعيم زرزور، (بيروت: 1992)، دار الكتب العلمية: 8/ 85

(5) ينظر: مناقب بغداد: ص23، . 34.

باب حرب[1]، وان فيها "قبور أربعة من أولياء الله وهم حصن لأهل بغداد من جميع البلايا. . . وهم الأمام احمد بن حنبل، ومعروف الكرخي، وبشر بن الحرث، ومنصور بن عمار. . . " [2]، ويلاحظ عند مراجعة تراجم هؤلاء مثلا في كتاب صفوة الصفوة لا نجد مثل هذا المضمون أو أنهم حصن من جميع البلايا[3]، على الرغم من إسهاب ابن الجوزي في الصفوة بمناقبهم وزهدهم وزمن وفاتهم والمقبرة التي دفنوا فيها [4]، كذلك أن طبيعة كتاب صفة الصفوة تنسجم أحيانا مع ما اشتهر به ابن الجوزي من ميل للتصوف وانه لا ينكر لما صح " من كرامات الأولياء الصالحين" [5]، ويشير احد الباحثين عكس ذلك بأنه لا يمكن إغفال الدور الذي لعبته ميول ابن الجوزي المذهبية والشخصية في هجومه على الصوفية، فكونه فقيها ومتصلا بالسلطة جعله يكره الصوفية الذين كانوا يصارعون الفقهاء لدى السلطة، وأيضا انه حنبلي وان الكثير من الصوفية في زمانه كانوا من الشافعية. [6]، وبما أن زمن تأليف ابن الجوزي لمناقب بغداد كان قبل سنة (574هـ/ 1178م) وكان الأخير في كنف الخليفة المستضيء (566–575هـ/ 1170–1180م) فانه ما زالت منافسته مع الصوفية على أشدها، وبالتالي فان القول إن مقابر بشر الحافي ومنصور بن عمار ومعروف الكرخي "هي حصن لأهل بغداد من البلايا" لا يتناسب مع زمن التأليف بما يخص ظروف ابن الجوزي.

---

(1) مقبرة باب حرب: وهي تقع خارج المدينة وراء الخندق مما يلي طريق قطربل، وفيها قبر أحمد بن محمد بن حنبل وبشر الحارث، وينسب باب حرب إلى حرب بن عبد الله احد أصحاب أبي جعفر المنصور، ينظر: العلي، خطط بغداد، ص130.

(2) مناقب بغداد، ص29.

(3) علق الأثري بهامش على هذا النص بأنه "حديث خرافة، كان على المؤلف ان ينزه كتابه منه"، ينظر: مناقب بغداد، ص29 هامش رقم (1).

(4) ينظر: ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ص338، 342، 348، 349، 356.

(5) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تلبيس إبليس، (القاهرة: 1928)، دار المأمون، ص16.

(6) الدوري، ابن الجوزي، ص120– 121.

وفي موضوع أخر فقد تطرق البحث إلى مسالة تجاهل وجود ذكر لمجالس الوعظ في نشرة الأثري، في حين نجد الإسهاب في الحديث عن الحمامات حتى انه خصص لها فصل خاص بها[1]، بالمقابل يلاحظ أن ذلك ليس محل اهتمام ابن الجوزي، لاسيما إذا استعراضنا كتاب المنتظم لم نجد ذكرا لتلك الحمامات[2]، والمبالغة في أعدادها كما ورد في نشرة الأثري المنسوبة لابن الجوزي حيث ورد فيها بان بغداد تحتوي "على ستين ألف حمام... وعدت في زمن عضد الدولة خمسة ألاف حمام. . . " [3]، وبالمقابل من الواضح أن مصدر ما ورد في نشرة الأثري كان الخطيب البغدادي الذي اشتهر بهذه المبالغات [4].

ثالثاً: إن ما هو مؤكد إن مؤلفات ابن الجوزي هي نتاج القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وان طبيعة الأحداث تعود لذلك القرن، ولعل ذكر أحداث ما بعد وفاته سنة (597هـ/ 1200م) يعطي الدليل القاطع أن نشرة الأثري ليست هي كتاب "مناقب بغداد" الذي ورد ذكره لدى المؤرخين، أنما هي لمؤلف أخر نجهله كانت وفاته على اقل تقدير بعد سنة (654هـ/ 1256م) ، ويمكن أن نؤكد ذلك من خلال التواريخ التي وردت في نشرة الأثري، فقد جاء فيها نصا في غاية الأهمية يتحدث فيه عن الغرق الذي تعرضت له بغداد خلال القرنيين السادس والسابع للهجرة/ الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، فقد جاء في النشرة المنسوبة لابن الجوزي " وجاء الغرق في سنة أربع وخمسين وخمسمائة وأحاط بالسور وتعب فيه واغرق كثيرا من المحال، ثم عاد في سنة أربع وستين

---

(1) مناقب بغداد، ص34.

(2) بالنسبة لخطط بغداد من خلال كتاب المنتظم، ينظر: الحكيم، كتاب المنتظم، ص122.

(3) مناقب بغداد، ص24.

(1) بالنسبة للمبالغات التي وردت في كتاب تاريخ بغداد وأعداد الحمامات والدروب، ينظر: الخطيب البغدادي، احمد بن علي، تاريخ بغداد أو مدينة السلام، (بيروت: د/ ت)، دار الكتاب العربي: 1/ 98, 117- 118.

وخمسمائة فخرب مواضع كثيرة، ثم عاد في سنة أربع عشر وستمائة، وسنة ست وأربعين وستمائة، وسنة أربع وخمسين وستمائة، كل سنة من هذه السنين أخرب المحال والدور، وسارت السفن في سنة أربع وخمسين في الريحانيين إلى الرحبة وباب الغابة " [1]، أن وجود هذا النص يؤكد مسالتين الأولى إن نشرة الأثري ليس من مؤلفات ابن الجوزي، والثانية أنها ليست مختصرة لكتاب مناقب بغداد كما زعم مصطفى جواد لأنه في حالة الاختصار لا يرد أحداث بعد وفاة المؤلف، كذلك يبدو من ترتيب وفصول الكتاب المنسوب انه ليس مختصرا أو ذيلاً له ، فضلا عن ذلك لا يوجد هامش في نشرة الأثري يفسر هذا التناقض لوجود تلك التواريخ، في حين يستبعد الباحث وجود التصحيف في النص لتكرار كلمة "ستمائة"، فضلا عن وجود شروحات بعدها تؤكد صحتها، أمَّا القول بان التواريخ التي بعد وفاة ابن الجوزي هي من إضافات الناسخ التي كتبها في حاشية المخطوط [2]، فانه احتمال وارد، لكن ذلك يعني أن الأثري تلاعب بالنص وانه تعمد إضافة الحاشية وهذا غير ممكن لباحث مثله، فضلا عن الأدلة السابقة التي وردت في البحث والتي تؤكد مسألة عدم نسبة نشرة الأثري لابن الجوزي.

رابعاً: إن نظرة أخرى إلى النص الوارد في نشرة الأثري والمتعلق بغرق الجانب الشرقي من بغداد وتواريخ حدوث الغرق نجد أن هناك اختلافاً مابين هذا النص، والنصوص الأخرى الواردة في كتاب المنتظم لنفس المناسبة، واهم مميزات ذلك الاختلاف الاختصار الشديد في سرد الحدث في نشرة الأثري بمقابل السرد المفصل لحادث الغرق في كتاب المنتظم، ففي حوادث الغرق التي عاصرها ابن الجوزي ورد في نشرة الأثري "وجاء الغرق في سنة أربع وخمسين وخمسمائة وأحاط بالسور وتعب فيه واغرق كثيرا من

(1) مناقب بغداد، ص34.

(1) هذا الرأي صرح به أستاذي الفاضل الدكتور جزيل عبد الجبار الجو مرد خلال مناقشة النص في أحدى الجلسات العلمية بتاريخ 13/ 3/ 2011، في كلية التربية بقسم التاريخ.

المحال" [1]، في حين كانت رواية ابن الجوزي عن ذلك الغرق في المنتظم بحوالي سبعة عشر سطر في مقدمتها " وفي ثامن عشر ربيع الأول كثر المد بدجلة. . . واقبل إلى البلد فامتلأت الصحاري وخندق السور وافسد الماء السور ففتح فيه فتحة يوم السبت تاسع عشر فوقع بعض السور عليها فسد بها ثم فتح الماء فتحة أخرى فأهملوها ظنا أنها تنفس عن السور لئلا يقع فغلب الماء وتعذر سده فغرق قراح ظفر والأجمة والمختارة والمقتدية ودرب القيار وخرابة ابن جرادة والريان وقراح القاضي وبعض القطيعة وبعض باب الازج وبعض المامونية وقراح أبي الشحم وبعض قراح ابن رزين وبعض الظفرية ودب المياه تحت الأرض إلى أماكن فوقعت" [2]، في حين في موضع سابق وفي وفيات سنة (530هـ/ 1135م) ذكر أن شيخه محمد بن عبد الله المعروف بابن الجنازة قد بني رباطاً بقراح ظفر وانه دفن في رباطه وقد "جاء الغرق في سنة أربع وخمسين وهدم تلك المحلة والرباط وعفى اثر القبر " [3] وبذلك كان أولى ان يذكر مثل هذه التفاصيل في نشرة الأثري.

إن ذكر هذه التفاصيل مع وجود اقتضاب في نشرة الأثري يوحي تماما إن نص النشرة ليس كاتبه ابن الجوزي، لاسيما وان هذا الحدث له وقع على الأخير لأنه نكب فيه بسبب غرق معظم كتبه بعد أن دمرت كل الضاحية التي كان فيها داره، وكانت في شارع اسمه درب القيار، فاضطر ابن الجوزي حين اخذ الطوفان يجتاح الحي الذي كانت داره فيه، إلى إن يعبر الجانب الغربي حتى عاد بعد ذلك بيومين، لم يجد حائطا قائما ولم يستطيع أن يستدل على الدرب ألا من خلال منارة المسجد فإنها لم تقع وفق ما ذكر سبطه يوسف بن قزواغلي في أحداث تلك السنة[4]، أما ابن الجوزي فلم يذكر غرق كتبه، بل ذكر تفاصيل أخرى وردت في المنتظم "قال المصنف وخرجت من داري بدرب القيار يوم الأحد وقت الضحى فدخل أليها – أي الغرق– وقت الظهر فلما كانت العصر وقعت الدور كلها واخذ الناس يعبرون إلى الجانب الغربي. . . وجئت بعد يومين إلى درب القيار

(1) مناقب بغداد، ص34.
(2) المنتظم: 10/ 189–190.
(3) ينظر: المنتظم، 10/ 64–65.
(4) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 143.

فما رأيت حائطاً قائماً ولم يعرف احد موضع داره ألا بالتخمين وإنما الكل تلال فا ستد للنا على دربنا بمنارة المسجد فأنها لم تقع وغرقت مقبرة احمد بن حنبل وغيرها. . . " [1]، إن ما يثير الشك عدم ذكر ابن الجوزي مثل هذه التفاصيل أو بعضها أذا فرضنا إن نشرة الأثري تعود أليه، لاسيما وانه قد ورد في النشرة بعض الأحداث الشخصية للمؤلف[2]. . أما بالنسبة لحادث الغرق الذي ورد في نشرة الأثري لسنة "أربع وستين وخمسمائة فخرب مواضع كثيرة " [3]، فانه لم يرد بالمطلق في كتاب المنتظم، وهو حدث من دون شك قد عاصره ابن الجوزي، إذ ما علمنا انه لم يغادر بغداد ألا عند حجه الأول سنة (541هـ/ 1146م) والثاني سنة (553هـ/ 1158م)، وعند نفيه إلى واسط بعد سنة (590هـ/ 1193م) [4]، وبالتالي إذ كان لم يذكر حدث الغرق في المنتظم فانه من الأولى عدم ذكره في نشرة الأثري على أساس إن كلا النصين من نتاج ابن الجوزي، وقد تكرر مثل ذلك في أحداث غرق سنة (446هـ/ 1054م)، إذ ورد في نشرة الأثري "ولم يكن هناك سور وبقيت على هذا إلى أن جاء الغرق سنة ستة وستين وأربعمائة فدخل البلد ولم يكن ثمّ مانع. ." [5]، ويلاحظ أن هذه الحادثة لا يوجد لها ذكر أيضاً في المنتظم ضمن حوادث تلك السنة، ومن أحداث الغرق الأخرى التي عاصرها ابن الجوزي فقد ورد في نشرة الأثري ما نصه "وجاء أيضا في سنة تسع وستين وخمسمائة فافسد نواحي المحول وغيرها[6]، وبالمقابل هذا النص المختصر ورد في المنتظم عرض لهذا الغرق بما يقارب ثلاثون سطراً فيها تفاصيل جداً دقيقة عن الدروب التي غرقت وما نتج عن ذلك، وبعد استعراض أخبار أخرى ورد في المنتظم أخبار غرق الجانب الغربي وعرض الحدث بما يقدر خمسة عشر سطرا ورد في بعضها " ثم جاء- الغرق- إلى الجانب الغربي من نهر عيسى الصراة واسكر أهل دار القز وأهل العتابين وباب البصرة والكرخ وباتوا مدة على التلال

---

(1) المنتظم: 10/ 190.
(2) ينظر مثلا صلاة المؤلف في جامع العقبة وتنزه في شواطي دجلة، ينظر: مناقب بغداد، ص23، 27.
(3) مناقب بغداد، ص34.
(4) ينظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/ 124، 141.
(5) مناقب بغداد، ص17.
(6) مناقب بغداد، ص34.

يحفظون المحال وقد انبسط الماء فراسخ ومر خلف المحال فقلب في الخندق والصراة ونهر عيسى ورمى قطعة من قنطرة باب البصرة.." [(1)]، إن مثل هذا البون في مقدار النصين يعطي انطباعا بأنهما لا يعودان لمؤلف واحد، لكن من المحتمل أن المؤلف المجهول الذي نشر نصه الأثري قد اطلع على رواية ابن الجوزي واختصرها بما يتناسب مع تقديره لوصف الحدث، واغلب الظن انه لم يعاصر ابن الجوزي، والجدير بالذكر انه في أحداث سنة (568هـ/ 1172م) ورد في المنتظم بأنه غرق أجزاء من بغداد "ووصل الماء إلى قبر الإمام احمد ودخل مدرسة أبي حنيفة ودرب الحيطان إلى النظامية والى رباط أبي سعد الصوفي. . . وتقدم من الديوان غالى الوعظ بالخروج مع العوام ليعمل الناس كلهم. . . " [(2)]، كل ذلك لم يرد ذكره في نشرة الأثري عند استعراض بعض حوادث الغرق في بغداد.

نخلص مما سلف إلى إن كتاب مناقب بغداد والذي نشره الأثري لا يمكن نسبته إلى ابن الجوزي لا كجزء من كتاب مناقب بغداد الأصلي ولا كملخص له كما صرح مصطفى جواد ولا كذيل عليه في حالة الفرض، إنما نص نشرة الأثري هي لمؤلف مجهول يتضح من سياق النصوص انه توفي بعد منتصف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.

The Book: "Manaqib Baghdad", mistakenly ascribed to Ibn AlJawzi

Lect .Dr. Shaqeb R. Basheer

Abstract

Books of Islamic heritage are considered a vast field to understand the past and its items. The latter can be done in the right way as books should be studied, scrutinized and reconsidered. The book "Manaqib Baghdad" was published by Mohammed Bahjat AlAthari in 1924 A. D. and attributed to Abi AlFaraj Ibn AlJawzi

(1) المنتظم: 10/ 247، كذلك ينظر نفس أخبار السنة: 10/ 244-245.
(2) المنتظم، 10/ 241.

(died in 597 A. H./ 1200 A. D.). While the latter has a book of the same title but it is was lost as the findings of the research have shown. The book that has been published by AlAthari is not written by Ibn AlJawzi especially as it contained events that took place after the death of Ibn AlJawzi. Five scholars in the field of heritage books have studied this subject, but they did not deal with the text of the book critically.